الخطب المنبرية

فِطَامُ الصِّيَامِ

مَنقُولٌ مِنَ التَّسجِيلِ الصَّوتِيِّ لِلشَّيخِ الدُّكتُورِ

صَالِحِ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ حَمَدٍ العُصَيمِيِّ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلمُسلِمِينَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الخطبة الأولى

الحمد لله الَّذي شَـرَع الشَّـرائع ونَوَّع أحكامَها، وأَكْمَلَ الدِّيانة وأَظْهَرَ إحكامَها. وأشهد أَلَّا إله إِلَّا الله وحده لا شريك له هو الحَقُّ المُبين، وأشهد أَنَّ محمَّدًا عبدُه ورسـوله ورحمتُه المُهدَاة إلى العالَمِين، صَـلَّى الله عليه وسَـلَّم وعلى آله وصَحْبه أجمعين.

أَمَّا بعد:

يا أيُّها الَّذين آمنوا! اتَّقوا الله، وابْتَغُوا رِضاه، وأَطِيعُوا أَمْرَه وأَجِيبُوا نِداءَه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

وَاعْلَموا - رَحمكم الله - أَنَّ مِمَّا تُهَذَّب به النُّفوس، وتُصْلَح أحوالُها: فَطْمُها عن مألوفاتِها؛ فإِنَّ فَطْمَ النَّفْسِ عن مألوفاتِها، وقَطْعَها عن عاداتِها،

يُهَذِّب سُلوكَها، ويُقَوِّم أخلاقَها، ويُنَمِّي خَيرَها، ويُطْفِئ شَرَّها.

فإِنَّ النَّفْس إذا اعتادَتْ مألوفًا لم تُقْطَع عنه، ولَازَمَتْ عادةً لم تُمنَع منها = صـــار ذلك ثابتًا لها؛ حَتَّى يَغدُوَ مُوافقًا لِهَواها؛ فهي تَجْري معه في الظَّاهِر والباطن، مُوافَقَةً للهَوى.

وقد عُنِيت الشَّـــريعة بِفَطْم النَّفس عن مألوفاتِها، وإخراجِها عن عاداتِها في أحكامٍ كثيرةٍ: تارةً من جهة المأمورات، وتارةً مِن جهة المَنْهِيَّات.

ومِن أَجَلِّ الشَّـــرائع الَّتي يَبْدُو فيها فَطْمُ النَّفْس عن مألوفاتها، وقَطْعُها عن عاداتها: شـــريعة الصِّـــيام؛ فإِنَّ العبدَ ينقطِعُ عمَّا أَلِفَه ولَزِمَه مِن طعامٍ وشَـــرابٍ وشَهوةٍ؛ تَقَرُّبًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولجلالة هذه الشَّـــريعة، وعِظَمِ أَثَرِ قَطْعِ النَّفس عن مألوفاتِها في الصِّـــيام، جَعلَها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شـــريعةً في الأُمم كُلِّها؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة].

ولم تُجعَل هذه الشَّريعة بِهذه المرتبة الجليلة شريعةً في كُلِّ أُمَّةٍ، إِلَّا لجميل أَثَرِها، وجَلِيلِ عاقبتِها، **ويَدُور ذلك على أصلين عظيمين:**

* **أحدهما:** ما في ذلك مِن إخراج النَّفْس مِن طاعة الهَوى إلى اتِّباع الهُدى؛ بطاعة الله وطاعة رســوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ فإِنَّ النَّفْسَ تَترُكُ ما أَلِفَتْه واعتادَتْه من

طعامٍ وشرابٍ وشهوةٍ؛ طاعةً لله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وبذلك تُدرِك خيرَها وسعادتَها في العاجل والآجل؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧١].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [النِّساء:١٣].

فالعبد الَّذي يَفْطِم نفسَه عمَّا أَلِفَتْه في يَومِها تَقَرُّبًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يكون قاهِرًا لِهَوَاه، مُتَخَلِّيًا عن شَهوتِه، مُذْعِنًا لله عَزَّوَجَلَّ، مُتَّبِعًا لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* والآخر: ما في الصِّيام مِن عظيم الصَّبْر؛ الَّذي هو مِن أعظمِ المراتب والمَنَازل؛ وبه أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَوَاصَّ عِبادِه؛ فقال لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران].

ولا يَخفى عظيم أَجْر الصَّبْر؛ فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

ولا يَخفى على أحدٍ ما في الصِّيام من الصَّبْر؛ حَتَّى سُمِّيَ شهرُ الصِّيام رمضانُ بـ (شَهْر الصَّبْر)؛ فإنَّ العبدَ يصبِر عن مألوفاته وعاداتِه، ويحبِس نفسَه عنها؛ تَقَرُّبًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فلاشتمال الصَّبر على هذين الأمرين العظيمَيْن - طاعةِ الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصَّبْر على قَطْع النَّفْس عن مألوفاتِها -، صار بِهذه المنزلة العظيمة، شريعةً جليلةً في كُلِّ أُمَّةٍ، جليلةَ العائدة، عظيمةَ الفائدة، محمودةَ العاقبة في العاجلة والآجلة.

فهذه رُتبةُ الصِّيام الَّذي يَتَجَلَّى فيه فَطْمُ النَّفْس عن مألوفاتِها، وقَطْعُها عن عاداتِها.

أقول ما تسمعون، وأستغفرُ اللهَ العظيم لي ولكم، فاستغفِرُوه إِنَّه هو الغفور الرَّحيم.

الخطبة الثَّانية

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، رَبِّ السَّماوات ورَبِّ الأرض رَبِّ العرش العظيم. وأشهد أَلَّا إله إِلَّا الله وحده لا شريك له معبودًا حَقًّا، وأشهد أَنَّ محمدًا عبده ورسوله صِدْقًا.

اللَّهمَّ صَلِّ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، كما صَلَّيت على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، إِنَّك حميدٌ مَجيدٌ، اللَّهمَّ باركْ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، إِنَّك حميدٌ مَجيدٌ.

أَمَّا بعد:

أَيُّها المؤمنون!

إِنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لَمَّا كَتَب الصِّيام على الأُمم كُلِّها - لعظيم فائدته، وجميل عاقبته، وجليلِ أثرِه في العاجل والآجل -؛ اختار لهذه الأُمَّة مَوْسِمًا كريمًا، وشهرًا عظيمًا؛ جعلَه مَحَلَّ فَرْضِ الصِّيام فيهم، وهو شَهْر رمضانَ.

فإِنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أَمَرنا بصيامه، وبَيَّن رُتبتَه؛ فقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ﴾ [البقرة:١٨٥].

فَخَصَّ الله عَزَّوَجَلَّ هذه الأُمَّةَ بجَعَلِ مِيقَاتِ فَرْضِ الصِّيام فيها في شَهْر رمضانَ؛ لِمَا له مِن منزلةٍ عظيمةٍ ورُتبةٍ كريمةٍ بأَنَّه المِيقَات الَّذي أَنْزَلَ الله عَزَّوَجَلَّ فيه القرآن.

وجَعَل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لنا فيه فضائلَ عظيمةً تُدرَك بِها مغفرةُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فقال النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (١).

وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (٢).

وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ**» وهي ليلةٌ من رمضانَ «**إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (٣).

فَاعرِفوا - رَحِمكم الله - قَدْرَ ما تَستقبِلُون من الزَّمان، وأَنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أَنْعَم عليكم به، وخَصَّكم بِهذه الخَصِيصَة التَّي لم يجعلْها لأحدٍ من الأُمم قبلَكم، فَجَعَلَ فَرْضَكم في الصِّيام شَهْرًا، وجَعَلَ هذا الشَّهر هو شَهْر رمضانَ،

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٨، ١٩٠١، ٢٠١٤)، ومسلمٌ (٧٦٠)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣٧، ٢٠٠٨، ٢٠٠٩)، ومسلمٌ (٧٥٩)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٥، ١٩٠١، ٢٠١٤)، ومسلمٌ (٧٦٠)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وفَتَح الله عَزَّوَجَلَّ فيه مَشَارِع التَّوبةِ، وأبوابَ المغفرة؛ فَاهْتَبِلُوا ما تستقبِلُون من شهرِكم؛ بالتَّوبة إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتَهيئةِ أنفُسِكم للأعمال الصَّالحة، بِنِيِّتها وإعداد العُدَّة لها.

وَاعْلَموا أَنَّ أحدَنا إذا بُلِّغَ شهر رمضانَ هذه السَّنةَ، فهي مِنَّةٌ إلهِيَّةٌ جليلةٌ، ونعمةٌ رَبَّانِيَّةٌ جزيلةٌ، ينبغي أَنْ يغتنِمَها العبد في عِمارة ليله ونَهاره بما يُقَرِّبه إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

فإذا كان النَّاس يَرْكُضُون إلى مِنَح أهلِ الدُّنْيا، فإنَّ مِنَح الله عَزَّوَجَلَّ أَوْلَى بالمسارعة إليها؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:١٤٨].

فاستبِقُوا - أَيُّها المؤمنون - إلى الخيرات الرَّبَانِيَّة، والعَطايا الرَّحمانِيَّة الَّتي جعلها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في رمضانَ.

اللَّهمَّ بَلِّغْنا رمضانَ، اللَّهمَّ بَلِّغْنا رمضانَ، اللَّهمَّ بَلِّغْنا رمضانَ.

اللَّهمَّ وَفِّقْنا فيه لِمَا تُحِبُّ من الأعمال.

اللَّهمَّ أَعِنَّا فيه على الصِّيام والقِيام، وسائر أنواع البِرِّ والإحسان.

اللَّهمَّ اجعلْنا مِمَّنْ يصوم رمضانَ إيمانًا واحتسابًا، واجعلْنا مِمَّنْ يَقُومُه إيمانًا واحتسابًا، واجعلْنا مِمَّنْ يَقُوم ليلةَ القدر إيمانًا واحتسابًا.

اللَّهمَّ آتِ نُفوسنا تَقْوَاها، وزَكِّها أنت خير مَنْ زَكَّاها، أنت وَلِيُّها ومَوْلاها.

اللَّهمَّ إِنَّا نسألك الهُدى، والتُّقى، والعفاف، والغِنَى.

اللَّهمَّ حَبِّبْ إلينا الإيمان، وزَيِّنْه في قلوبنا، وكَرِّهْ إلينا الكفرَ والفسوق والعصيان، واجعلْنا مِن عبادك الرَّاشدين.

اللَّهمَّ فَرِّجْ كُرَبَ المكروبين، ونَفِّسْ هُموم المهمومين، وَاقْضِ الدَّين عن المَدِينِين، وَاشْفِ مَرضَنا ومَرْضَانا ومرْضَى المسلمين.